الفصل الثالث

عقيدة التوحيد بعد المسيح

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : الاضطهادات وأثرها فى العقيدة المسيحية .

المبحث الثاني : الفلسفة وأثرها على عقيدة التوحيد .

المبحث الثالث : بولس وموقفه من عقيدة التوحيد .

المبحث الرابع : عقيدة التوحيد بين الفرق المسيحية قبل مجمع نيقيه ٣٢٥ م .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

عقيدة التوحيد بعد المسيح

المبحث الأول:

الاضطهادات وأثرها في العقيدة المسيحية:

تمهيد:

علمنا في الفصل السابق أن المسيحية في عهد المسيح عليه السلام لم تخرج عن عقيدة التوحيد التى دعا إليها المسيح، وسجلت الأناجيل الكثيرة من أقواله عليه السلام التي التزمت بعقيدة التوحيد، وسار الحواريون على دربه وعلى نسق عقيدته، ولقد أثنى القرآن الكريم على هؤلاء الحواريين، وطلب من المؤمنين أن يقتدوا بهم في نصرة دين الله قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ..** ﴾ [1]. وكان إيمان الحواريين يرتفع كلما بدأت علامات الكفر تظهر على أبناء البيئة اليهودية في عهد المسيح ـ عليه السلام ـ وسجلت آيات القرآن موقف الحواريين من قضية التوحيد في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [2].

وبقي هذا الإيمان بعقيدة التوحيد بعد المسيح فترة ليست بالقصيرة ولكنه كان يظهر قليلاً ويختفي كثيراً، والسبب في ذلك هو ما ذكرته المصادر العلمية، شرقية وغربية، دينية وغير دينية ـ من أن هؤلاء الموحدين

(١) سورة الصف آية ١٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٢.

نزلت بهم بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بعقيدتهم ويفرون بها أحيانًا، ويصمدون للمضطهدين مستشهدين في سبيل بقاء عقيدة التوحيد نقية أحيانًا أخرى، والذي يجب التنبيه عليه أن كتبهم ورسائلهم كانت تسجل خلال هذه الاضطهادات؛ مما كان له الأثر الواضح في تغيير معالم العقيدة فيما بعد.

بداية الاضطهاد وأسبابه:

لقد بدأ اضطهاد الموحدين من المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح عليه السلام هو ضحية هذا الاضطهاد الذي انتهى بالحادث المزعوم حادث الصلب «كما يدعون»، وقد نزل بأتباعه في عهده ومن بعده ما نزل به من العنف والظلم، وكان اليهود مصدر هذه القسوة؛ لأن أتباع المسيح كانوا يريدون نشر عقيدة التوحيد، الأمر الذي لم يقبله اليهود، ولكن المسيحية بدأت على الرغم من اليهود وغلبتهم على أمرهم، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين ولكن . . .

ما هو سبب الاضطهاد؟

يقول الأستاذ أحمد شلبي عن سبب الاضطهاد: (إن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون الأمر الديني الجديد إلا أنه امتداد لليهودية، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنين)[٣]. ويبدو أن اليهود كان لهم في كل واد فعلة، الأمر الذي جعل الأباطرة يحذرونهم حتى ولو دعوهم إلى وحدانية الخالق.

ويذكر الدكتور توفيق الطويل سببًا آخر مبنيًا في فحواه على هذا السبب، فيقول: (ومما أثار حقد الرومان على المسيحية أنها أخذت من

(٣) انظر المسيحية ص ٧١ د. أحمد شلبي.

اليهودية تعصبها، فأعلنت ـ حتى في عهود ضعفها ـ أنها تناصب العقائد الأخرى العداء، وأنها ستعمل على إبادة المذاهب الفكرية الأخرى، وعلى تحطيم الإمبراطورية الرومانية عندما تتهيأ لها الفرصة)[٤].

ويبدو من وجهة نظرنا أن هذا السبب غير دقيق؛ لأن المسيحية حينما نعمت بطيب العيش، وتنزلت عليها سحائب الاطمئنان، لم تحطم الإمبراطورية الرومانية ولم تُبِد المذاهب الفكرية، وإنما قبلتها وارتمت في أحضانها، وخضعت لها في كافة شعائرها وعقائدها، وسواء هذا الرأي وافقه الصواب أم لا. إلا أننا نرى أنفسنا بسبب هذا الاضطهاد أمام تحول خطير للعقيدة المسيحية جعل منها ديانة جديدة من نوع وثني روماني.

أشهر أنواع الاضطهاد ضد العقيدة المسيحية:

ويتفق المؤرخون كما يقول ميشيل جرجس في كتابه «الكنيسة المصرية» أن أشهر أنواع الاضطهاد التي وقعت للمسيحيين عامة والأقباط خاصة بدأت من منتصف القرن الأول إلى أوائل القرن الرابع هي الأربعة التالية:

(١ـ اضطهاد نيرون سنة ٦٤ م ٢ـ اضطهاد ترجان سنة ١٠٦ م

٣ـ اضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩ـ٢٥١ م ٤ـ اضطهاد دقلد يانوس سنة ٣٠٢م)[٥]

وعن عهد نيرون: يحدثنا الأستاذ زكي شنودة فيقول: (إن نيرون يضع بعض المسيحيين وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم

---

(٤) الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ص ٣٣، ٣٤ د. توفيق الطويل.

(٥) كتاب تاريخ الكنيسة المصرية، ميشيل جرجس، نقلا عن كتاب يا أهل الكتاب تعالوا، ص١٣٢ د. رؤوف شلبي.

ويطلي بعضهم بالقار، وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم.[٦]

أما ترجان: (فكان يعتبر المسيحيين أنجاسًا لا يسمح لهم بدخول الحمامات العامة، وكان يأمر ولاتهم بمنع المسيحيين من صلاتهم، ويجعلهم ينزلون بهم أشد أنواع العذاب، وقد أمر ترجان بمنع الاجتماعات السرية للمسيحيين، لأنهم كانوا لا يدينون بدين القيصر)[٧].

أما ديسيوس: فيقول عنه زكي شنودة نقلا عن أوسابيوس القيعري (إنه في فترة من فترات عهده قتل عشرة آلاف دفعة واحدة . . . حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت في ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع.

ويقول القديس ديونسيوس الرابع عشر وبطريق الإسكندرية آنذاك، يقول عن ذلك الاضطهاد: (إنه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلاً بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكاً وثباتاً)[٨]. وما قاله صاحب تاريخ الأقباط عن هذا الاضطهاد يجعلنا نوافقه أن عقيدة المسيحية في هذا العهد لا يمكن أن تستقر على المبدأ الأول الذي كانت عليه في عهد المسيح عليه السلام، وإذا سألنا عن موقف دقلديانوس تجاه هؤلاء المسيحيين فإننا نجده أدهى من سابقيه: (فقد بلغت قسوته بهؤلاء المسيحيين أنه أقسم ألا يكف عن قتلهم حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه، وفعلاً نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء الشهداء)[٩] على حد تعبير زكي شنودة. ولقد استمر

(٦)تاريخ الأقباط ١ / ١٠١، زكي شنودة.
(٧) انظر الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ص٣٥.
(٨) انظر تاريخ الأقباط ١ / ١٠٩ .
(٩) انظر تاريخ الأقباط ١ / ١٠٩، ١١٠ .

البلاء ينزل من قياصرة الروم على المسيحيين حتى جاء عهد قسطنطين، فكان يمنًا وبركةً على المسيحيين لا على المسيح كما سنبين إن شاء الله.

أثر الاضطهادات على العقيدة المسيحية:

إن هذه الاضطهادات التي صاحبت العقيدة المسيحية في بداية تكوينها لدليل واضح على أن المضطهَدين كانت عقيدتهم هي العقيدة المسيحية وكانوا بها يتمسكون حتى ولو أدى ذلك إلى فدائها بالمهج والأرواح. ولما طردوا من أوطانهم بسببها بلغ من عشقهم لهذه العقيدة أن ينادوا بها بين أهل الرومان، ولكن الآخرين كانوا لا ينظرون إلى ديانة هؤلاء باعتبارها ديانة غريبة عن بلادهم فحسب، بل كانوا ينظرون إليها على أن أصحابها يهود أو من بلاد اليهود، ومن ثم فإنهم أهل مكر وخداع ولا يقبل أن يؤخذ الدين من ماكر وخدَّاع، بيد أن المبشرين الجدد تناسَوا هذا الحقد من قبل الرومان، وبدؤوا يقبلون كل الشعائر الوثنية لتقريب الرومان إليهم، وأغلب الظن ـ كما يقول الأستاذ محمد مجدي مرجان ـ: (أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية، وقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، ومع مرور الزمن ستتطهر وتعود إلى صفائها . . . ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث هو العكس، فقد تغلبت الوثنية وطمست رسالة المسيح)[١٠].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إننا نرى أن هذه الاضطهادات كانت ذات أثر واضح على المصادر المسيحية بعد المسيح، فقد كتبت الأناجيل ورسائل بولس في هذه العهود المظلمة، الأمر الذي أدى إلى فقدان سندها

(١٠) الله واحد أم ثالوث؟ ص ٨٤، بتصرف.

المتصل برسول المسيحية عيسى عليه السلام، وعن ضياع هذا السند يقول شارل جنيبير: (إن أولى الصعاب التي تعترض الأناجيل نجدها في النصوص التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق)[11]. واعترف القساوسة أنفسهم بانقطاع هذا السند؛ لأنها دونت في هذه العصور المظلمة. يقول الشيخ رحمة الله الهندي: (طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى ثلاث مئة وثلاث عشرة سنة. وتفحصنا كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت: إن الظن لا يغني شيئًا، فماداموا لا يأتون بدليل شاف وسند متصلٍ فمجرد السمع يكفينا، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا)[12].

ومما سبق أقول: إن العقيدة المسيحية تزعزعت في نفوس معتنقيها، وتقلبت في قلوبهم بعدما سمحوا للشعائر الوثنية بالتجول بينهم، الأمر الذي أدى إلى اختفاء عقيدة التوحيد بينهم، وحينما سجلوا كتبهم كانوا يسجلونها في غرفات مظلمة، ولا تقبل النفس عقيدة سجلت في الظلام، وقد تبين أنه لا يوجد سند عندهم لصحة العقيدة التي نادى بها المسيح. ويوجد عند المسلمين الدليل الواضح على عقيدة المسيح، وهو القرآن الكريم ذو السند المتصل بالرسول ﷺ.

*****

(١١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢٣، ترجمة د. عبد الحليم محمود، ط دار المعارف.
(١٢) إظهار الحق ١ / ٨٣ الشيخ رحمة الله الهندي، تحقيق د. أحمد حجازى السقا.

المبحث الثاني

الفلسفة وأثرها على عقيدة التوحيد بعد المسيح عليه السلام

التقت المسيحية بعد المسيح بالفلسفة، ولم يكن لقاؤهما لقاء عداوة وخصام، بل لقاء محبة وسلام، ولما كان الموحدون مغلوبين على أمرهم في البلاد التي تاهوا فيها فإن الفلاسفة انتهزوا الفرصة وأرادوا تلقيح الديانة المسيحية بالفلسفة لتتمخض عن عقيدة جديدة تكون بعيدةً كل البعد عن عقيدة التوحيد التي نادى بها المسيح عليه السلام، ومع مرور الزمن كان لهم ما أرادوا، وكانت الغلبة للفلسفة، والضعف والهوان لأرباب عقيدة التوحيد. وينقل الشيخ محمد أبو زهرة عن فند لبند قوله: (إن الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية وترتيبها، والتقدم بالشعور الديني لوجود فكرة في العالم تقنعه، فأوجدت نظمًا دينيةً من قبيل ما وراء المادة تتفق مع الأديان المتضادة اتفاقًا يختلف قلةً وكثرةً) [١٣]. وإذا علمنا أن الدين الذي وجد في بلاد الرومان والذي استخدمت فيه الفلسفة نظرياتها لتهذيبه هو الدين المسيحي الناشئ آنذاك حق لنا أن نقول: إن المسيحية الموحدة بعد المسيح خضعت للكثير من نظريات هذه الفلسفة.

ويحكي التاريخ أن الأفلاطونية الحديثة سطت على العقيدة المسيحية، وقفزت فوق صدرها حتى أزهقت روحها، وأخرجت عقيدة التوحيد من نفوس أتباعها، وأحلت محلها نظريتها الوثنية بقيادة مدرسة الإسكندرية. ومن المعلوم أن نظريتها في الإله تختلف عن عقيدة المسيح في الإله؛ لأنها ترجع العالم في تكوينه وتدبيره إلى ثلاثة عناصر أو ثالوث مقدس: (المنشئ

(١٣) محاضرات في النصرانية ص٣٤، دار الفكر العربي.

الأول، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، والروح الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة. فإذا عبّرنا عن المنشئ الأول بالأب، وعن الروح بروح القدس ـ كما هو ثالوث النصارى الذي قررته المجامع، كما سيأتي ـ فإننا لا نخرج عن القول بأن المسيحية هي الأفلاطونية، والاختلاف بينهما في الاسم فقط) [١٤].

وبناء على هذا الرأي يرجح الدكتور علي عبد الواحد وافي القول: (بأن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن التأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة) [١٥]. ويتأكد ذلك من خلال ما نقله الدكتور عبد الرحمن بدوي عن بوستنيوس الذي قال: (إن الأفلاطونية المحدثة موجودة في الآيات الأولى من إنجيل يوحنا، فنجد الكلمة هي المسيح؛ لأن الكلمة هي الله والمسيح هو الله، وكما أننا نجد أيضًا أن الكلمة تلقي نورها على الإنسان لمجرد ولادته سواءً أكان ذلك بعد المسيحية أم قبلها، فالكلمة إذن ظهرت قبل أن تتجسد وتأتي في صورة المسيح، وعن طريق نور الكلمة ألقي النور في الإنسان من قديم الزمان، ولو أنه كان ضئيلاً؛ لأن النور الكامل لم يظهر إلا بتجسد الكلمة في المسيح، ولهذا فإن ما قال به القدماء من أشياء صحيحة لابد أن يعد صادراً عن الكلمة، ولما كانت الكلمة هي المسيح فإن ما قالوا به جاء متفقا مع المسيحية أو مسيحيا) [١٦].

وهذا يعني أن المسيحية لقحت حقاً بالفلسفة الوثنية القديمة، وأن من انتسبوا إلى المسيح قديماً من أمثال يوحنا صاحب الإنجيل وغيره قد

(١٤) محاضرات في النصرانية ص ٣٦، الإمام أبو زهرة، بتصرف.
(١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٢٩.
(١٦) فلسفة العصور الوسطى ص١، د. عبدالرحمن بدوي، ط دار القلم، بيروت.

استحسنوا هذا التلقيح الذي نجم عنه تلوث عقيدة التوحيد بالميكروب الوثنى، بل وظهور محاولات إبعاده نهائياً عن المسيحية من خلال قرارات المجامع التى اعترفت بهذه الفلسفة الوثنية وادعت ألوهية المسيح والروح القدس كما سيأتي في حينه، إن شاء الله، ولكن يجب ألا نقطع بأن هذه المحاولات قد قبلها أتباع المسيح جميعاً في القرون الأولى، بل ظهرت فئات وطوائف تدعو إلى نبذ هذه الفلسفة الوثنية والتمسك بعقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام ـ كما سيأتي ـ.

obeikandl.com

المبحث الثالث

بولس وموقفه من عقيدة التوحيد

لا يمكن لباحث في المسيحية أن يغفل عن ذكر بولس (شاول)، الذي رقَّته المسيحية المثلثة إلى درجة رسول، والكثير من الباحثين يعتبره المؤسس الحقيقي للمسيحية بعد المسيح[١٧]، ومن ثم فلابد من ذكره حتى نعرف موقفه من عقيدة التوحيد التي سلمها المسيح لأتباعه من بعده، ولنترك بولس ذاته يتحدث عن . .

المقطع الأول من حياته:

يقول عن نفسه معرفًا : (أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبًا عند رجلي عمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي)[١٨] . وهو بهذا يريد أن يُعرِّف سامعيه بأنه منذ نعومة أظفاره خاضع للناموس الذي نادى به المسيح، فهل هذا حق أم أن سيرته ستشهد على نقيض هذا الكلام؟ سنرى ويخبرنا شارل جنيبير عن طرسوس هذه قائلاً : (إنها تقع بين هضبة آسيا الصغرى والشام . وعن الأفكار التي كانت تجُلَب إليها يقول : إنها كانت سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة)[١٩] .

أما عن العقائد التي وجدت في هذه المدينة طرسوس فإن ول ديورانت يحدثنا عنها قائلاً : (إن طرسوس كانت كغيرها من المدن اليونانية، وبها الكثير من العقائد الخفية، فكان أهلها يعتقدون أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وأنه إذا دعي بإيمان حق وصحب الدعاء

(١٧) أقصد بها المسيحية المثلثة التي أرست قواعدها المجامع . (١٨) أعمال الرسل٢٢/ ٣ .
(١٩) المسيحية نشأتها وتطورها ص٨١، شارل جنيبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود .

بعض الطقوس الصحيحة استجاب لهم، وأنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة[٢٠].

وهكذا نرى المقطع الأول من حياة بولس مليئًا بالأفكار والعقائد المختلفة التي تلقاها من غير بني وطنه، فهو في الأصل يهودي إلا أنه تربى تربيه غير يهودية، ولكنه استطاع فيما بعد ـ كما يقول ديورانت أن يمزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة)[٢١].

اعتناقه المسيحية:

كان بولس من ألد أعداء المسيحية كما تشهد أعمال الرسل[٢٢]، وفجأة يعتنق المسيحية إثر حلم يقول إنه رآه فغيَّر مجرى حياته كلها، وأصبح داعية المسيحية الأول، والمطوف بها شرقًا وغربًا والمتحمل في سبيلها كل أذى واضطهاد، ويسوق أعمال الرسل حكاية اعتناقه للمسيحية فيقول: (وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلاً له: شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيدي؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخي، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل)[٢٣]. ودخل على التلاميذ وهم يعرفون عداءه (وحدثهم كيف أبصر الرب، وكيف جاء إلى دمشق باسم يسوع[٢٤].

---

(٢٠) انظر قصة الحضارة ١١ / ٢٥٢ ترجمة محمد بدران.
(٢١) انظر قصة الحضارة ١١ / ٢٥٢ ترجمة محمد بدران.
(٢٢) انظر أعمال الرسل ٢٢.
(٢٣) انظر أعمال الرسل إصحاح ٩/ ٦٠٣.
(٢٤) انظر أعمال الرسل إصحاح٩/ ٢٧.

والحقيقة أن هذه القصة في ذاتها تنبئ عن عقل مريض تميز به بولس، يمكن أن يقال إن به مرض لا شفاء له. ويصف شارل جنيبير هذه القصة: (بأنها نتجت عن أزمة نفسية وانتهت بقصة الرؤيا ليسوع، وكانت هذه الأزمة نتيجة لصراع داخلي مبهم طويل)[٢٥]. ونوافقه بأنها أزمة نفسية، ولكننا لا نوافقه أن نهايتها كانت الرؤيا، فبولس لم ير المسيح في حياته، فكيف به يراه بعد ذهابه؟ وكيف يقال إن الأزمة انتهت بالرؤيا؟ إن الأزمة بدأت في الحقيقة ببداية الرؤيا المزعومة، وكان من نتائجها ضياع ديانة المسيح، وإرساء قواعد المسيحية الجديدة باسم المسيح وحواريه، والشاهد على ذلك هو:

أعماله مع الحوارين "الموحدين":

يقول موريس بوكاي [٢٦]: (بعد أن غادر المسيح الأرض، وحتى منتصف القرن الثاني - أي طيلة أكثر من قرن - كانت هناك معركة بين اتجاهين، أي بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية[٢٧] وبين اليهودية المسيحية، ولم يحل الاتجاه الأول محل الثاني، ولم تنتصر البولسية على اليهودية إلا بشكل شديد التدرج)[٢٨].

وهذا النص يكشف لنا النقاب عن أزمة بولس النفسية التي جعلته يكوّن طائفة غير موحدة تناهض كافة الموحدين بعد المسيح، وبلغت الجرأة ببولس أنه كان ينظر إلى الشريعة الموسوية التي احتفظ بها المسيح نظرة سخرية واحتقار.

يقول الكردينال دانيلو في مقال له: (إن اليهود المسيحيين الموحدين

---

(٢٥)انظر المسيحية نشأتها وتطورها ص٩.

(٢٦)هو طبيب فرنسي، وأحد الذين عنوا بالدراسات العلمية ومقابلتها بالكتب المقدسة.

(٢٧)يقصد بوكاي بالمسيحية البولسية أي التي قامت على يد بولس لا المسيح، وهي المسيحية العالمية الثالوثية، أما اليهودية فهي التي تنتمي في الحقيقة إلى المسيح، والتي لا تنبذ شيئًا من شرائع التوراة، ولم تقبل الانفتاح على عقائد العالم.

(٢٨) انظر القران الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثةص٧١.

بسبب هذه النظرة انفصلوا تمامًا عن بولس؛ لأن ديانة المعبد كانت أموراً باليةً في نظر بولس وكان بولس، يرى أن المسيحية لابد أن تتحرر من انتمائها السياسي والديني إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود)[٢٩]. وبناء على هذه النظرة يقول بوكاي: (إن اليهود المسيحيين كانوا يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو، وتتهمه بتواطؤ تكتيكي، ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة)[٣٠].

وبهذا يتبين لنا مدى الصراع الذي نشب بين بولس والموحدين، والذي لم يكن النصر فيه حليفًا لبولس، وكانت الغلبة فيه للموحدين "الحواريين".

بولس وموقفه من عقيدة التوحيد:

والحقيقة أن الأزمة النفسية التي كان يمر بها بولس - رسول المسيحية فيما بعد - جعلته يتقبل بكل بساطة العقائد الوثنية التي كانت تحيط ببيئته، ويعرض بكل غرور عن عقيدة التوحيد، ورسائله شاهد إثبات على ذلك. يقول شارل جنيبير: (إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى[٣١] تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة أنها غريبة، فهي تجمع بين النصوص المقدسة القديمة وبين المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، والأساطير الدينية الشرقية)[٣٢].

---

(٢٩) انظر المصدر السابق ص٧١، ط دار المعارف.

(٣٠) انظر المصدر السابق ص٧١، ط دار المعارف.

(٣١) يقصد جنيبير بالرسائل الكبرى أي الرسائل التي يجمع أكثر النقاد اليوم على صحة نسبتها اليه.

(٣٢) انظر المسيحية نشأتها وتطورها ص ٩١ شارل جينبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود.

ومن المعلوم أن هذا المزج ساعدته فيه ثقافته القديمة فهو كان في وسط يعتقد بالإله الإنسان والإله المصلوب. . إلخ، وهو بفكره هذا بعيد عن الوسط المسيحي الأول، ولقد وجد بولس في شخصية المسيح وفي الجو الذي تركه من بعده ما يصلح لأن يكون منه عقيدة جديدة تخالف عقيدة المسيح وحوارييه، فوجد في ميلاد المسيح موقفاً يلتفت له الدهر، وفي معجزاته موقفاً يناظره موقف مولده، وفي موته وقيامته موقفاً ثالثاً، ومن خلال هذه المواقف يستطيع بحكم نشأته أن يكون عقيدةً جديدةً لدى البسطاء من الناس، خاصةً وأن لديه عقلاً يجمع بين اليهودية والرومانية، ومن خلالها يحقق ما يريد، فصور العقيدة الجديدة المناهضة لعقيدة التوحيد في رسائله، واعتمدت المجامع المسيحية فيما بعد اعتماداً كليًا على هذه الرسائل ومصطلحاتها الغامضة.

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة في موسوعته هذه: (إن بولس أضاف إلى اللاهوت الشعبي الموسوي بعض آراء صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار (سفر الحكمة) وفلسفة فيلون[٣٣]، ومن ذلك قول بولس: (إن المسيح حكمة الله وابن الله الأول وبكر كل خليقة . . . فإن فيه الكل . . . . والكل به وله قد خلق . . . والذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل . . . وليس هو المسيح المنتظر "المسيا " اليهودي الذي سينجي إسرائيل من الأسر، بل هو الكلمة التي سينجي الناس كلهم بموته)[٣٤]. وهذه الكلمات التي جمعها ديورانت من رسائل بولس،

(٣٣) هو فيلسوف يهودي من أكبر فلاسفة اليهود ولد سنة ٣ق.م، انظر كتاب المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٢٠٠، الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

(٣٤) هذه الكلمات متناثرة في جميع رسائله، وجمعها ول ديورانت هنا ليكشف بها موقف بولس من المسيح وعقيدته. انظر قصة الحضارة ١٢ / ٢٣٦.

ووصفها بأنها مصطلحات غامضة جاءت إلى الناس من خلال أقوال فلسفية قديمة تكشف لنا عن هذا الفكر الذي تجول به بولس داخل العقيدة المسيحية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى توضح لنا مدى العناد الذي يحمله بولس ضد المسيح وأقواله، فالمسيح حينما يقول: (بعثت لخراف بني إسرائيل) نرى بولس يقول: (بل للناس أجمعين)، وحينما يقول المسيح: (أنا عبد الله ورسوله وإنسان وابن إنسان)، نرى بولس يقول: (بل أنت حكمة الله وابن الله الأول وبكر كل خليقة أنت الإله وفيك الكل والكل قد خلق لك وبك . . . إلخ). وهو بهذا يريد أن يكوِّن بالمسيح لا للمسيح عقيدةً جديدةً من نوع خاص؛ نوع فلسفي غريب على أتباع المسيح، لكنها تلبس ثوب المسيح ليتقبلها الناس فيما بعد. ولم يقتصر عمل بولس على مناهضته عقيدة التوحيد فحسب، بل حمل على شريعته وغيَّر وألغى الكثير، كل ذلك ليُرضي أهل الوثن على حساب الديانة الجديدة.

ويُجمل الدكتور رؤوف شلبي موقف بولس من عقيدة المسيح وشريعته فيقول: (إن بولس هذا هو الذي أخرج ملة عيسى من ثوبها الطبيعي إلى ثوب جديد وهو الذي بدل وصف عيسى من ابن الإنسان الذي كان يطلقه عليه الحواريون إلى ابن الله، وهو الذي ألغى اختصاص ملة عيسى بشعبه اليهودي، وسمح للمشركين عامة بالدخول فيها، وأنه ألغى شريعة موسى في الختان وكثيراً من الشرائع؛ إرضاءً للجدد من المشركين وبقية المجتمع اليوناني . . . وأنه صاحب فضيحة الصلب والعشاء الرباني . . . إلخ) (٣٥)

وبعد: فهذا هو بولس الذي تتخذه المسيحية الثالوثية رسولاً لها،

(٣٥) يا أهل الكتاب تعالوا ص ١٠٦.

وتؤمن بكافة أقواله ولا تعصي له أمرًا، ولا أدري لما كل هذا وهو الذي اعترف بأنه لم يقابل المسيح في حياته ولم يتلقى على يديه مبادئ المسيحية، وأقواله مسجلة لهذا الاعتراف في رسالته إلى أهل غلاطية: (وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان؛ لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح)[٣٦].

وهو بهذا يريد أن يقول أنه تلقى التعاليم من يسوع المسيح مباشرة، ولكن قصة دخوله المسيحية ـ كما حكاها هو في أعمال الرسل ـ كانت بعد المسيح، ولا يقبل العقل السليم القول بأن المسيح أوحى إليه، وكل الذي استطاع أن يقوله كتّاب النصارى المنصفون للبحث العلمي من أمثال شارل جنيبير أنها أزمة نفسية، وليست قصة حقيقية، وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا، ومن ثم فلا يصح التمسك بأقوال مريضٍ نفسيٍّ، بل يجب ضربها وتحويل صاحبها إلى أقرب مستشفى عقليٍّ إن صح التعبير، حتى لا تتمادى أقواله في البيئة الإنسانية.

وخلاصة القول: إن بولس اليهودي النشأة، الرواقي الثقافة، الروماني الفكرة، استطاع بكل دهاء وحيلة أن يُوجِد في المجتمع عقيدةً جديدةً تناهض عقيدة التوحيد فيما بعد، والناس في عهده إزاء عقيدة التوحيد انقسموا إلى طائفتين: الأولى تؤيده، والثانية تؤيدها، فما هي هذه الطوائف؟

(٣٦) رسالة بولس إلى أهل غلاطية عدد ١١، ١٢ الإصحاح الأول.

obeikandl.com

المبحث الرابع

عقيـــدة التوحـــيد بين الفـــرق

المسيحية قبل مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م[٣٧]

بدخول آراء بولس ابن الفلسفة وإعلانه القول بألوهية المسيح انقسم المجتمع إلى طائفتين؛ الأولى: تميل إلى فكره. والثانية: تؤيد عقيدة التوحيد وترفض قوله. وسأتحدث عن الطائفة الأولى ويمكن تسميتها بـ:

الطائفة البولسية: وهي تمثل الفرق التالية:

(١) فرقة التثليث. (٢) فرقة إليان. (٣) فرقة البربرانية. (٤) فرقة مرقيون.

أولاً: فرقة التثليث:

وهي الفرقة التي خضعت لآراء الأفلاطونية الحديثة (وذهبت إلى القول بأن الإله ثلاثة أقانيم؛ وهو الأب والابن وروح القدس، وأن الابن أو الكلمة هو المسيح، وكانت الإسكندرية من أشد الكنائس تعصبًا لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي المقرر لجميع الفرق المسيحية بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م)[٣٨]. وسنرجئ الكلام عن تفاصيلة إلى أن يحين الحديث عن التثليث بمشيئة الله.

ثانيًا: فرقة إليان:

وهذه الفرقة بعدما سعت للشرك سعت أيضًا إلى تكوين رأيٍ خاصٍ بها تخالف به كل الفرق حتى ولو كانت قرينتها في الشرك، وفي سبيلٍ

---

(٣٧) هذا المجمع هو الذي حوّل المسيحية الموحدة بقرار سلطاني إلى مسيحية بولس الثالوثية، وعنه سنتحدث عند تعرضنا لقضية التثليث إن شاء الله.

(٣٨) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٢٣.

ذلك جنحت إلى هذا الرأي الذي ذكره الشهرستاني في كتابه «الملل و النحل» وفيه تقول: (إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا، لكنها مرت بها كالماء بالميزاب[٣٩]، وما ظهر بها شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة وإلا فما كان جسمًا متجسمًا كثيفًا في الحقيقة، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان، وهؤلاء يقال لهم الإليانية وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية)[٤٠].

ويفهم من كلام الشهرستاني عنها أنها كانت تؤله المسيح وتجعله ابن الله، وتصور حقيقته في هذه الصورة الخيالية وتدّعي أنه لم يوجد في الحقيقة، وإنما الذي وُجد هو خياله وصورته، ونقول لهم: بمن إذن كنتم تؤمنون ـ كما تدّعون ـ بالمسيح أم بالصورة؟ إن كان إيمانكم بالمسيح فقد نقض قولكم، وإن كان بالصورة فلا إيمان لكم، وابحثوا لكم عن مسيحٍ آخر يوجد بالحقيقة ـ ولنتركهم في الخيال ـ لنرى.

ثالثًا: فرقة البربرانية:

وهي تذهب أيضًا إلى القول بألوهية المسيح وأمه معًا، ويقرر ابن البطريق مذهب هذه الفرقة فيقول: (ومنهم من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ويسمون المريميين)[٤١]. ويذهب الكثير من المسيحيين في العصر الحديث إلى القول بأنه لم يقل أحد في المسيحية عبر القرون بهذا القول، ولكن سعيد بن البطريق يرد عليهم بقوله هذا. ولقد كشف القرآن الكريم عن هذه الفرقة من خلال الحوار الذي دار بين المسيح وربه وسجلته سورة المائدة، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ**

---

(٣٩) الميزاب: القناة يجرى فيها الماء، من وزب الماء يزب وزوبا: سال، ويُجمع على ميازيب.
(٤٠) الملل والنحل ٢ / ٣٢الشهرستاني.
(٤١) تاريخ ابن البطريق ١ / ١٢٦.

قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٢).

وبذلك يكون المسيح نابذاً لهذه الفرقة، ولقد نبّه الإسلام إلى تهافت هذه الفكرة التي طرأت على عقيدة المسيح فبرهن على دحضها ومن خلال برهانه حثَّ العقول على دفنها فقال سبحانه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ..﴾ (٤٣). وخليق بمن يأكل الطعام أن يكون في احتياج إليه، فضلاً عما يعتريه منه، والإله ليس كذلك.

ويقول الأستاذ عبدالواحد وافي، وهو يؤرخ لهذه الفرقة قبل مجمع نيقية يقول: (وقد أوشكت هذه الفرقة على الانقراض في نهاية المرحلة التي نتحدث عنها، وإن كان يبدو من ذكرها فى القرآن الكريم أنه كان لا يزال لمذهبها أتباع في عهد الرسول ﷺ (القرن السابع الميلادي) (٤٤).

والناظر في أعياد وطقوس المسيحية المعاصرة يرى أن العذراء لها نصيب من هذه الأعياد والطقوس، الأمر الذي يجعلنا نقول: إنه ما زالت هناك رواسب وآثار لهذه الفرقة في نفوسهم.

رابعا: فرقة المرقيون:

وهذه الفرقة: (تنتسب إلى مرقيون أو مرسيون وهو من رجال القرن

(٤٢) سورة المائدة آية ١١٦، ١١٧. (٤٣) سورة المائدة آية ٧٥.
(٤٤) الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام ص١٢٢، د. علي عبدالواحد وافي.

الثاني الميلادي، وكان قسيسًا ثم حكم عليه بالطرد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين؛ أحدهما: الإله العادل، أو الإله الخالق المهندس، وهو الإله الذي اتخذ من بني إسرائيل شعبًا مختارًا، وأنزل عليهم التوراة، والآخر: إله الخير الذي ظهر في شخص المسيح، وخلَّص الإنسانية من خطاياها، وكان للإله الأول السلطان على العالم حتى ظهر الإله الثاني، فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه)[٤٥]. وبالنظر في أقوال هذه الفرقة يتبين لنا أنها مقتبسة فكرها من المذاهب الفارسية التي ذكرها الشهرستاني في الملل والنِّحل[٤٦]، ويتبين أنها تعتقد بوجود إلهين أحدهما للنور، والآخر للظلمة، ومن ثم فهي متأثرة بها، والإسلام دين الرحمة ينفي وجود إلهين في العالم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤٧]. وقال عز اسمه: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٤٨].

وإذا وجد إلهان فلابد من وجود خلاف بينهما، ولذا لا يستقر العالم، بل يزول، ولكن العالم بقي كما هو والذي زال هو أصحاب الفرقة حيث جاء في كتاب الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام: (إن هذه الفرقة ظلت قوية حتى منتصف القرن الثالث ثم اضمحلت فيما بعد وانقرضت انقراضًا تامًا في القرن العشرين)[٤٩].

هذه هي أهم الفرق التي استقرت تحت راية الشرك، وتطاولت على مقام الألوهية، واتبعت الآراء البولسية الفلسفية، واقتبست للمسيحية آراء

(٤٥) انظر الأسفار المقدسة للأديان السابقة ص ١٢١.
(٤٦) راجع آراء الديصانية والمرقيونية في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٥٥، ٥٦، ٥٧.
(٤٧) سورة النحل آية ٥١.
(٤٨) سورة الانبياء آية ٢٩.
(٤٩) انظر كتاب الأسفار المقدسة ص١٢٢، د. علي عبدالواحد وافي.

وثنية من هنا وهناك فجاءت في صورة فكر مشتت لايستقر على مبدأ ولا يدعو لحق ولكنه يصب في النهاية في مصب الفكر، ولما اكتشف الموحدون في القرون الأولى هذه الآراء الدخيلة على عقيدتهم قابلوها بنقيضها، وأحيوا معتقد التوحيد الذي جاء به نبي الله عيسى علية السلام، وكوَّنوا في سبيل ذلك جبهة مقابلة تضم العديد من الفرق الموحدة والتي يمكن تسميتها.

طائفة الموحدين

ومن أهمها:

أولاً: فرقة البوليقانيون:

وكان يقود حركتهم بولس الشمشاطي، وجاء قولهم على لسان ابن البطريق: (إن المسيح إنسان خلق من اللاهوات كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصْطُفِيَ ليكون مخلِّصًا للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية، وحلت فية بالمَحبة والمشيئة؛ ولذلك سمي ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريك أنطاكية وهم البلقانيون)[٥٠].

ويبدو من كلام ابن البطريق أن بولس وأتباعه لم يعرفوا عن المسيح سوى إنسان مخلوق بقدرة الله، وأن الله اصطفاه بالنبوة، وكانت تسميته بابن الله لا يقصد بها سوى التعبير المجازي وهو المحبة، وكانوا لا يعرفون عن الله إلا أنه واحد مسمى بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة التي قال بها الأليانية، ولا بروح القدس التي نطق بها أهل التثليث.

ومن الملاحظ أن مذهب هؤلاء سبق على لسان مؤرخ يؤمن بالثالوث،

(٥٠) تاريخ ابن البطريق ١ / ١٢٦.

فجاء منطقه وتعبيره عن هؤلاء الموحدين بهذا السياق المذكور. أما إذا اتجهنا إلى ابن حزم المسلم فإنه يسوق عبارة بولس وأتباعه من الموحدين في تعبير إسلامي واضح فيقول: (كان بولس بطريقيًا بإنطاكية قبل ظهور النصرانية[٥١]، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذَكَر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس)[٥٢]. ولا فرق بين القولين إلا في الصياغة.

ثانيًا: فرقة أبيون:

وهي الفرقة التى أخذت على عاتقها محاربة بولس (شاول)، الذي ألغى شرائع موسى وادعى في نظير جعل النصرانية عالمية أن المسيح ليس هو المسيا المنتظر لدى اليهود، بل هو مخلِّص العالم، وهو إله وابن إله ومن ثم وقف أتباع ابيون كما جاء في كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، جبهةً واحدةً (تقر جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح، وتعده مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية. وهو فيما يتعلقً بشخصً المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي)[٥٣].

ومن المعروف أن الكثير من الأناجيل حكم عليها فيما بعد بالإعدام ومن خلال إعدامها ضاعت العقيدة الصحيحة وتخبط النصارى فى الثالوث المدعى.

---

(٥١) يعنى ابن حزم قبل ظهور عقيدة التثليث التى قُرِّرت من خلال المجامع.
(٥٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري ١ / ٣٩.
(٥٣) انظر كتاب الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام ص ١٠٨، ١٢٤

ثالثًا: الأريوسيون: [٥٤]

وهي من أكبر الفرق الموحدة في العهد الأول للمسيحية، شمّرت عن ساعديها، ونصّبت نفسها محاميًا عن العقيدة، وأخذت تضرب الفرق البولسية بكل ما أوتيت من الحجج والبراهين، وأخذت على عاتقها إحياء معتقد التوحيد، وطرد الأقوال الدخيلة عليه. ويوم أن بدأ مذهب المساواة بين المسيح والإله يظهر على يد أورجنيس [٥٥] وظهرت بدعة حلول الجزء الإلهي في شخص عيسى الإنسان، كما يقول الدكتور البهي: (وقف أريوس منكرًا أن عيسى ابن الله ومساو له، وقال: إنه إنسان محض، وقد وجدت فترة من الزمن قبل خلقه فهو إنسان حادث)[٥٦]. ومعنى هذا أن المسيح ليس أزليًا، بل هو رسول مخلوق، والمخلوق لا يكون خالقًا، وإلا لأدى ذلك إلى انقلاب الحقائق.

ويؤكد هذا المعنى ما ساقه صاحب كتاب تاريخ الأقباط عن أريوس الذي نادى (بأن المسيح ليس أزليًا، وإنما هو مخلوق من الأب، وأن الابن ليس مساو للأب في الجوهر. ويعني بالابن المسيح وبالأب ذات الله. أي أن المسيح ليس مساويًا لله بل هو مخلوق) [٥٧].

ويقول ابن حزم عن أريوس: (إن قوله هو التوحيد المجرد، وأن عيسى

---

(٥٤) نسبة إلى أريوس وهو قسيس في كنيسة الإسكندرية، ليبي الأصل ولد عام (٢٧٠وتوفي٣٣٦) تاريخ الأقباط ١ / ١٥٠.

(٥٥) عاش ما بين القرن الثاني والثالث الميلادي (١٨٥ - ٢٥٤)، وكان يميل في تفسيره للإنجيل إلى الأفلاطونية الحديثة : وكان يقول: إن المسيح كلمة الله، ولا يراد بالكلمة سوى العقل، فالمسيح عقل الله، والله وكلمته أزليان؛ لأن العقل الإنساني فى اللحظة التي يتصور فيها وجود الله يتصور فيها وجود كلمته منه، فليس وجودها مسبوقًا بفترة من الزمان، وبناء عليه فعيسى إنسان إلهي مساو للأب في الوجود، انظر الجانب الإلهي هامش ص ٧٤ ، وانظر ص٧٥، ٧٦.

(٥٦) انظر الجانب الإلهي ص ٧٧، د. محمد البهي.

(٥٧) تاريخ الأقباط ص١٥٠، زكي شنودة، بتصرف.

عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السماوات والأرض)[٥٨].

ويلاحظ أن أريوس حينما كان يرتفع صوته بكلمة التوحيد ونفي ألوهية المسيح كان التعليل لرأيه مصاحباً له فنراه يقول: (كيف تتفق وحدة الإله مع جعل عيسى إلها أيضا نعم هو شبيه للإله، على معنى أنه قريب منه في الدرجة والمنزلة، ولكنه ليس مساويًا له)[٥٩]. ولقوة رأيه في التوحيد (تبعه مشايعون كثيرون، فكانت كنيسة أسيوط على رأيه، وعلى رأسها ميليتوس، وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد، أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون، كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونية و القسطنطينية... وعلى الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تألُ جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بطرد أريوس وكفره، وإصدار قراره بألوهية المسيح)[٦٠]، وبذلك يكون هذا القرار السلطاني بألوهية المسيح هو بداية التحول للعقيدة المسيحية في الإله الواحد إلى الثالوث الوثني الذي قررته المجامع فيما بعد.

تعقيب وتعليق:

هذه هي عقيدة التوحيد ما زالت حية قوية في قلوب الكثيرين من الفرق المسيحية التي لمحت الغزو الفكري قادمًا إليها من كل اتجاه بقيادة فرق ألبست نفسها ثوب المسيحية، وتقمصت الأفكار الوثنية وصاغتها بدقة فائقة، وأبرزتها في صورة جديدة عليها رداء العقيدة، وامتازت بالحبكة الفنية والصياغة الفلسفية، ثم همست في أسماع البسطاء من الناس قائلة:

(٥٨) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ١ / ٣٩. طبعة مصطفى الحلبي.
(٥٩) انظر الجانب الإلهي ص ٧٧.
(٦٠) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٢٥.

إن المسيح شريك لله، وأنه إله وابن إله. وللأسف مازال رنين هذه الهمسات يسمع في ديار الكثيرين من أتباعهم حتى اليوم، ونسي هؤلاء وأولئك أن ذلك رجم بالغيب، وتجاوز للحد، وتطاول على مقام الألوهية بغير برهان، والعقائد لا تؤخذ من غير الأنبياء الذين حملوا الرسالة من رب السماء، وقد أفلح الموحدون حين قالوا لا إله إلا الله، وشمروا عن سواعدهم في سبيل إحيائها وإسكات أصوات الدخلاء، وقد رأينا أريوس وأتباعه كيف قاوموا الثالوث الوثني، ونازعوا هذا المبدأ الذي أبرزه بولس وفرقته، بيد أن الفرق الموحدة كانت أعلى صوتًا، وأفصح قولاً، وأقوم حجة، وأعلى مكانة، فمنهم قساوسة وعلماء وبطاركة، وكانوا جميعًا يهدفون إلى تقرير قضية واحدة وهي أن الله واحد أحد لا شريك له ولا ولد، وليس بأقنوم أو روح قدس. وإذا ما عرضنا هذه القضية التي انتهى إليها المسيحيون الموحدون على الإسلام لوجدنا أن لها قبولاً وارتياحًا، ولنرى ذلك فيما يلي:

موقف الإسلام من قضية الوحدانية في المسيحية

لقد كانت دعوة الاسلام كلها قائمة وراء هذه القضية لتقريرها وتأييدها وترسيخ أساسها في العقول والقلوب؛ وذلك لأن الله جل في علاه هو الذي شهد لنفسه بالوحدانية شهادة الذات للذات، وصدّق بها الملائكة الكرام وأثنى عليها أولوا العلم على مر القرون والأزمان ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٦١). ولقد تعرض الإمام ابن جرير الطبري لتفسير هذه الآية فقال: (إنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفي ما أضافت النصارى الذين حاجّوا رسول الله ﷺ في عيسى

(٦١) سورة آل عمران آية ١٨.

من النبوة، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكاً واتخاذهم دونه أربابًا، فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالق لكل ما سواه، رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربًا من دونه، وأن ذلك كل ما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه، فبدأ جلّ ثناؤه بنفسه تعظيمًا لنفسه وتنزيهًا لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها، كما سن لعباده أن يبدأوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبًا خلقه بذلك) (٦٢).

وإن المتتبع لآي القرآن الكريم يجد أنه يرجع بالإنسان إلى وجدانه، ويعمل على إثبات الوحدانية لله رب العالمين عن طريق حسن النظام الموجود في الكون البديع، والعناية في تنسيقة وحسن تدبيره: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (٦٣). هذه معارض لقدرة الله يعرض فيها ما أبدعت يد القدرة من آيات، وما أخرجت من نعَم وما ثبت من مخلوقات، وقد حملت كل معروضة بين يديها لا فتة تلقى كل من ينظر بهذا السؤال التقريري من أنا؟ من صورني وأبدع فيما صور؟ وتتلجلج ألسنة فلا تدري ما تقول، وتتحرك ألسنة فتنطق بالحق وتلتوي ألسنة فترمي بالباطل، ثم تأتي هذه النداءات في

(٦٢) تفسير الطبري ٣ / ٢١٠ ط الحلبي. (٦٣) سورة النحل الآيات من ٥٩ - ٦٤.

القرآن الكريم: ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ولا يكتفي القرآن بهذه المعارض التي تبدأ مجهولة الصانع ثم تنتهي مضافة إلى إله واحد غير مثلث الأقانيم، بل يجيء بمعارض أخرى يبدو فيها المعبودون دون الله، وكأنهم مدعوون إلى امتحان حولهم وقوتهم إلى جانب حول الله وقوته فلا يكون إلا العجز والاستهزاء، يقول جل شأنه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦٤).

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (٦٥) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (٦٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٧). وهكذا تتعدد معارض الامتحان التي تكشف فيها أحوال تلك المعبودات وتظهر لعابديها في قيود العجز والضعف.

وسبحان الواحد الذي يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

(٦٤) سورة القصص الآيات من ٧٠ - ٧٣.
(٦٥) سورة يونس الآية ٣٤.
(٦٦) سورة فاطر من الآية ٤٠.
(٦٧) سورة الأعراف الآية ١٩٤.

نفي الولد عن الإله الواحد:

وإذا كان الموحدون المسيحيون قد قاوموا فكرة الولد المنسوبة لله تعالى فإن الإسلام قد تصدى أيضًا لهذه الفكرة وحاول نفيها، وذلك من خلال الآيات الوفيرة المبثوثة في القرآن الكريم؛ لأنها فكرة وثنية تتنافى مع وحدانية الإله، يقول تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٦٨).

ويقول عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٦٩). ويقول جل شأنه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾(٧٠). وكان على النصارى الذين نسبوا الولد لله تعالى ومن سار على دربهم أن يسألوا أنفسهم: لماذا يتخذ الإله ولدًا؟ هل هو في حاجة إليه؟ هل يريد منه أن يدير الملك من بعده أو يساعده في عمله؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

إن الواحد منا في هذه الحياة يريد أن يتزوج وينجب له ولدًا لكي يساعده على متاعب الدهر ومصاعب الحياة، وإذا ما مات الأب فإن الابن يدير ثروته من بعده، ويُحيي له ذكره، فهل الإله الواحد الحي الذي لا يموت، القيوم على شؤون خلقه، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الغني عمن سواه، خالق الكون ومدبره، هل يريد أن يتخذ ولدًا لهذه الأمور؟ لا يرى عاقلٌ ذلك أبدًا.

---

(٦٨) سورة المؤمنون من آية ٩١.
(٦٩) سورة الإخلاص.
(٧٠) سورة الإسراء آية ١١١

إن هذه المقولة الفاجرة قد ضج منها الكون بأسره؛ لأنها نسبت إلى الرحيم الرحمن ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [٧١]. إذن ما أكذب تلك القضية؛ أن الله له ولد، وما أصدق تلك القضية أن الله واحد لاشريك له في الكون ولا ولـد.

(٧١) سورة مريم الآيات من ٨٨ - ٩٥

obeikandl.com